www.kotobarabia.com

رواية

أحمد سليمان

أتشكل

أخر الحي الأثنى أول النفق المزدحم

www.kotobarabia.com

أتشكل آخر الحي الأثني

أول النفق المزدحم

أحمد سليمان

أنجز العمل : بين استنبول ودمشق وبيروت، بـ دءاً من العام ١٩٩٩ لغاية ٢٠٠٠

طبقا لقوانين الملكية الفكرية

جميع حقوق النشر و التوزيع الالكتروني لهذا المصنف محفوظة لكتب عربية. يحظر نقل أو إعادة نسخ أو إعادة بيع اى جزء من هذا المصنف و بثه الكترونيا (عبر الانترنت أو للمكتبات الالكترونية أو الأقراص المدمجة أو اى وسيلة أخرى) دون الحصول على إذن كتابي من كتب عربية. حقوق الطبع الو رقى محفوظة للمؤلف أو ناشره طبقا للتعاقدات السارية.

فتات وقت ..قطعان خوف، وأعين بنصف إغماضة عندما تنمو رغابك، وتسعل كما ديك الجدة، ستموت بني. قد لا تموت فحسب، فلك ميتة وعيون غيرة عليك، إستكبر إذن، القسوة تمهل نعومة الدمية التي تلاعبها .وجسدك هـذا لـن تنساه أعين تحاول مسك، ستموت كما حكايات العم أورهان، حيث تبدأ من ثعالب الجبل وتمر بشمس الظهيرة، كعادتـك، تنـــام قبـــل أن تصـــل الحكايـــة خاتمتهـــا. بعد أعوام، ربما لن تموت بني، قبل عام نهضت من غفـوة، بعد أن شربت فنجاني أقرأ حكايتك .

وهكذا، عشت دمية بين يدين أصغر النسـاء، علـى مرأى عيون وشعوذة أشباه السحرة، بعدما القسـوة هـدمت تاريخ العائلة. عائلتي القادمة عن طريق أورفه، ومـن ثـم تُحتكم لطبيعة نزاع بين تركيا، وحدود دول أخرى.

كان جدك والعم الذي اختفى فجـأة، خبـرت ميتتـه وهكذا، أنت ضِلّيله ربما، كما أنه لم يبصر وجهك، لكن نامت الجدة قبل أن تكمل حكايتها. وما فهمت السر الـذي يحـيط بجدتي وبنيها، حين أفقت والجدة ما كانت حولي.

اختفت الجدة، بينما أنتظر نبوءة العام القادم وما طوى نسيانه علي. ماتت الجدة وخبرت أنني سأموت في مقبل الأيام، أي بعد أبي بأعوام، قبل أن تفيق الجدة من سباتها.الجدة التي ماتت، وما رأيتها مرة. فعشت دمية تهذبها أصغر النساء في أورفه، دونا، ودونا ما خبرت مدينة تشبه عنتاب، إذ ما رأت الأبنية، التي غابت معالمها في ذكرى رحيل منذ أزل، عشية مجازر الأرمن، حين غاب أبي وتشابهت الصور دونما جدوى. تتشابه الحكاية والصورة التي أبصرها، ساحة تنهض من ذاكرة الجدة، مكان يحتوي على فتات وبقايا أشلاء. أيضاً كانوا مثلنا] قال أبي وما برحتني صورته].

قوافل أحزاب تحرق الشمس وتذبح الهوية. لم أبصر جناناً أو فراديس ستكون في مطلق الأحوال للأضحية التي شيدت ساحات باسمها، أضحية وساحات تغزو مدن العالم. شهداء على مذبح أفكار ومعتقدات، وحدها الظلال تدرك سرها. كما الحكاية / الأمكنة... أمكنة تتشابه وحكاية أبصرها من ذاكرة الجدة، ذاكرة أمنا دونا في عنتاب، حيث تُقام على مذبح العزلة صروح، ومدن، وأسواق بورصة

تخفي الشر ق وما عليه [قال أبي: مات أبي] أعيش سـليل عائلة وتربية معتلة، إذ ما خبرت فنون الزخرفة في الأستانة [كان أبي راوياً لتاريخ ونقوش بيزنطة. مـر بالأناضـول ومزار عبادة المتصوفة، متصوفة غابوا هكذا، كما غاب أبي وتناسوا سره].

ما شيدت صروح على مذبح الذين غابوا خلسة عـن الوقت، عن أعين الله والبشر. رذاذ مـاء، رطوبـة طقـس، صافرات تنذر عن حشود قادمة، وبرداناً كنت، برداناً كمـا غيري، دهش أيضاً من استفاقتي على أصـوات، ورائحـة أجساد تهرول. جسدي بارد، كنت في عيادة صديق يطمئنني على تحسـن شـكلي الـذي لـم أعرفـه فـي مرسـين. مرسين صباحها بارد، بردان، والصباح لا يحتمل رغائـب تفــوح منهــا ذاكــرة أجســاد تفكــر وتنــوء بــي. عازف قيثار من أصل يوناني يترنم بموسـيقى وصـيحات هجينه، كالتي نسمعها عند ارتحال ميت، أو مناجـاة فقيـد. بردان أفقت هكذا، لفني هواء وبعض رطوبـة قاسـيتها، لا موت إذن... بردان كنت، وما يكمن لي كان أكبر من قدرتي على تحمله، أكبر من أجل مجهول، أجل أعرفه بشواذه كمـا

إن شكل الطبيب لا يريح أعصابي يـا دونـا، دونـا التـي أبصرتها تجلس أبداً في الوهم، وعازف القيثار يترنم، صور وثمة حشود تهتف، صافرات.. وحدها الأشكال فـي غيـر موضعها، الأمكنة تهرول، تهرول الأجساد خلفها، نحـو يـد سموحة، يدين محملتين بشارة وخلاص آخر. صـوت أبـي يذكرني بموت قادم، أبي الذي خسرته وما سألته عن سـيرة العائلة التي قدمت من بلاد ثلوج وحكايات لم تكتمل، شـكل أبي يحمل أطيافاً وأجساد ضئيلة. صوته خفوت، صوت إلـه خاسر، في زمن أخسره بانتظام. صوته... صوت أبي،كما لو أنه ما ارتحل. خفوت صوته، ربما لم يكن في غيهـب ليـل مضى، ربما لم أكن برداناً يرتجف ولم يكن أبـي وصـوته الذي ما ارتحل. لم أكن وجسدي، لكن، رذاذ الماء ينزلق عن جسدي، وثمة من قطع وتر القيثار، أبي الذي قطـع الـوتر، كان عازفاً من أصل يوناني يترنم في ذكرى غيابه بموسيقى وصيحات فقيد العائلة، لم أكن وحدي، ثمة من كان معـي... وحده كان أبي.

طيف ضئيل، وصوت بالكاد يسمع، ربما لم يكن في غيهب ما.. أجلس ومعي خفايا نظرته في ليل مضى، ليل لم

أعد أذكره، لكنه حدثني بينما كنت أحيط الوقت خارجه، كما لو أنه لم يفعل، مع أنه يرمق كلاماً لم يكتب عن غيهب فعلة، بل غيهب معنى، بينما أحيط الوقت وخوفي ألا أنهض، لتوي خارج الوقت، خارجه، المعنى يجالسني، بعدما ضبطته في مشهد منذ أزل، كان يجلس بينما فتات وقت وقطعان وكلام وحروف مثلمة. قطعان خوف وما كنت إلا جالساً في مكان تحول إلى محلات صيارفة وألبسة غالية، جالساً فحسب، قبالة شاب طويل، ما إن رآني وجدته واقفاً أمامي. بفكه الرخو، ولسانه المقطوع، ساقه القصيرة، يديه المرتجفتين، كان يقف... بأقل من لمحة بصر توارى بينما أعين الله ترف. بعد أن لوح بيديه الناحلتين كان أبي الذي تحول إلى طيف أصابه الكساح قبالتي، بعدما الجريدة وقعت من يدي جريدة تعلن عن عودة الراحل إلى غيابه، بينما الصورة تخرج من الصفحة إذ كان يحدثني وأعين بنصف إغماضة تجلس. حدثني...

عن الأسمر و عيون الذئاب و الدببة، التي يوزعها عمانوئيل، حدثني قبالة أسمر بفكه الرخو و شحوبه المائل إلى الرحيل، حدثني عن عودته الأخرى، بينما يجلس قبالته

رجل صدئ. الأسمر بعينيه الزائغتين والدبة المحشوة بكيس العم صاحب القُبعة المثلمة، الحمراء، والبيـاض يؤطرهـا. سألني... عن حبوب أسبرين للطائر الخرافي، الطويل الـذي يحلق في سماء المقهى كثير الكلام، و النقود، والسلاسل التي على رقبته. أسبرين... كان يطلب و أبي يحـاول أن يقنعـه بمفعولها، قدرتها على الهلوسة وتميع الوقت. بقدرة الأسبرين وبعض رؤوس فلفل و بهار يأتي به من أرمينيا، من بـرج حمود. أسبرين يـا أبـي ؟ سـألته عـن هـدر الجسـد... فهي غالية الثمن بعد ان يقنعه بمفعولها، وقدرتها على هـدر الوقت و الجسد الذي ينعم بجنان و فراديس بفعل خيال أوحد. أجابني ، والكلام يسيل من نتوء عينيه الجاحظتين، وفهمـت نية الأسمر الذي راح يكتب بدلاً عن رواية تفوح منها رائحة ديزل، وبارفان عاهرة جـاء بهـا مـن حـوض الولايـة. الأسمر الصدئ، قادم من قبائل تدخر طوال العام ما لا ينفق على جيل برمته. والده كان تاجر نوق وعبيد... جـده مـن الحبشة... أمه خلاسية وضعته في إمارة موناكو. الأسـمر ومزاجه الخاص لا يروق الحديث معه إلا عن ساعة (بيـغ بن) يتذكر مواعيدها بينما يقيم بفندق يجاور قصر المملكـة

التي لا تنام قبل أن توقظ العالم. ما أمعنت بصـري، حيـث الزوال أقوى من إن يبصر مليا، على الفور غادرني، بعد إن شتم الأصدقاء الأميين و سر الخرافة و الأمكنة. مرة كـان يعزم ابن الورد على ليتر براندي، حين سأله المنام عن سـر الكلام الذي أتى به أبو نواس، أجاب من مدينة نسي فيها كل شيء، بما في ذلك سر قدومه إليها. يعزم ابن الورد، ويجوب مدينة أخرى، لم يقدر للحظة أن يكون الـزوال دون العقـار الأبيض. سألته والزوال ينبعث نحوي على هيئة لص يعبـث بأوراقي سألته عن العقار وعن فكه المخلوع، الزوال الـذي يلمسني بينما طيور تنام على خدي، طيور ترفرف والـزوال أبداً حولي. ما إن جلسنا على طاولة بقرب هاتف حانة، طلب إلى النادل أن يأتينا بأرقام، على ذات الطاولة التي ينام عليها كتف الهاتف. جلسنا، بعض ساسة وأدعياء، جمعتهم أفكـار حزب الإله الواحد. فهؤلاء كانوا بالأمس من اليسار التركي، وبعض أنصار جماعة تودة، وما تبقى من التكتل الاشتراكي في روسيا الحالية. بعدما الزوال تلاشى، صرنا حفنة أوقـات ميتةٍ، وبقايا كونفرنسات تعلن مباركة جديدة لعودة اليسار إلى شـرق غـرب أوروبـا والكومنولـث معـاً.

ضقت، وكان الزوال لا يشبه أحداً، كان الزوال في حين الثورة لا تقوى على أفكار يبثها الزوال، ما كان يوماً إلا مواقف تسخر، يا لها من معارضة يتبوأ بها حين جعله صديق يحتفل بإحدى قصائده، حينما سئلَ عن سر فعلته، عن القصيدة التي فرت من لسانه المقطوع.

رأيته، ومن شدة ما قساه كاد أن يهلك، على الفور راح يعبث عما إذا كان ابن الورد حوله، وإذا به يتذكر أنه لم يشرب من ماء العقار، الورد الأبيض، والقصيدة التي فرت حين كتب وهلك من شدة ما قاساه على روحه المتوثبة.

تذكر جفاف ما كتب، على منأى من العقار كتب عن الزوال دون رشفة من العقار، بل دون حبر جف، دون كلام، من قسوة ما مر به، من سطوة المنام، والزوال الذي ما أبصر غير قفاه. أجاب وما سألته، عن زبد فاسد، عن افتتانه بامرأة تشبه رونزا. عن حنان زينب بائعة الورد وريتا، عن رونزا صاحبة الياسمين، أم شوقي، زينب زوجة أبو أحمد الياس، بائعة الورد وريتا. ما كف عن شوق الياسمين، غفلة الورد وريتا. وحدها الملاءات الملونة تغطي الحيرة لكن، من قتل رونزا؟ من هذه الرونزا، ابنة زينب أم شوقي زوجة أبو

أحمد الياس؟ فلنتقل من أحمد أولاً، والأب الذي كان غافلاً عن الياس الاسم الثاني للفتى؟ كان الأب شقيق جورجي حسـن. من جورجي هذا، بل من أنتَ؟؟ سأشرح ذلك في مقبل الأيام، أما قرأت معي دعوة البارحة في مجلة ثرثارة، أمـا رأيـت البارك وحده، خلوة من يصمت وقيل عنه تروتسـكياً ماويـاً يميل إلى تازارا قبل أن يشرد؟؟؟ أما رأيته جالساً قبل أعوام في دلهي، قبل أيام في أزمير، واليوم يشهر وسطى أصـابعه في موكب إعادة تأسيس البرلمان؟؟ أيقنت أن الزوال يهـذي، لم يكن يدري أنه حدثني عن الذئاب والدب بة وتاجر العبيـد لذي أنجب أسمر صدئاً مِن أم خلاسية، وشقيق يأكل الفلفـل الصغير، كما لو أنه فستق عبيد أتى به من الحبشـة، حيـث كان جده يقود قطيعاً طويلاً من البشر. بعد شـهور أيضـاً، حدثني. بعد أن رأيته على غير عادته، بهندام أنيق وقلنسـوة من طراز رفيع، كان حذاؤه لامعـاً، يقـف قبالـة صـحيفة تصدرها البطريركية، ما أن تصافحنا وبيده اليسرى كتيـب يحكي عن موت نرسيس.

فضح رغبته، وأشار كي يسارر البطريرك المفتـون كي يغضبه، دخل غرفة و ثمة حضـور دهـش، قساوسـة.

كانوا، وفقهاء نبـوة، بينمـا راح بـأعلى صـوته يـؤذن. عشية اليوم ذاك، داهمني في بيتي، كان عليه ألا يضـايقني بينما كنت في خلوة البارك، الذي استفقده عشية اليـوم ذاك، حين عاد ومعه شابين وامرأة تحمل أوراقا ومحفظـة أكبـر منها. قال، جئتك بأصحاب من ساحة مارتقلا، يبشرون إلـى درب الهداية، ثم ناولني من حقيبة المرأة انجـيلا، وبعـض منشورات تروج أفكار. كان علي ان أقرأ قراءة الذي يتأمل، لكن ما وجدت ما يطفئ رغابي، وكنت قد عكفت قبلا علـى بعض فصول أخر، لكنني، ما وجدت الطين الذي أصلنا منه. حذرني الزوال كي أتوقف، حذرني، و ما شتمت الشابين كما طلب الي أن أفعل. قال الزوال، الزوال الذي طلب ان أشـتم وأقبل المرأة كما كان يفعل، ما فزت بخلوتي حـين الـزوال كان يضحك، نصحت من معه أن يضحك، وقرأت نفسي قبلا فضحك الجميع. ما فزت بالضحك، غير أنني أتأمل، وما أن تابعوا الضحك، أفقت من نـومي، كنـت تعبانـا و بردانـا يرتجف، بينما الطقس دافئ، والمرأة التـي كـدت ألمسـها اختفت.

غيوة النسوة من سرق الزهور التـي قطفتهـا مـن نومي؟ ما رأيته إلا وكان حافياً كم من مرة ضبطته يخنـق النور الخافت مؤلم كان شكله حين عبرنـي شـكل أحـدهم يرتجــف، شــكل بــاب لا يخــرج إلا حافيــاً خلفــي كلمــا أُخمنــه لــم يكــن لأُخمنــه، جســدها المســنود حين ألمس جدراناً يجثو عليها الباب جسدها يستند عليه لـم أكسر الباب حين خذلني بعدما النور خف و أطفأ نومي مؤلم حين عبرني شكلها في الوردة أبحث عن جهة تأكـل عينـي الوردة تأكل القلـب أولاً تأكـل الوقـت لـئلا أنتبـه إلـى جسدها الرخو عبثـاً أحتـرق مـن وردة تضـل طريقهـا الزهور التي قطفتها من نومي ما حملت الزهور من نـومي سرقَت الزهور و تفحمت ههنا أشذبها لغرف موصدة بجوفي بعدما المطر َأفلس من غيومه قطفت الماء ا لـذي اسـتحال شــكله إلــى أثــر، ذلــك حــين لا أمــل أخلع حروفي و أصابعي أنشغل بحواسي ثـم أقـع بحيـرة غرفي الموصـدة تغمزنـي العـين أعلـى البـاب دومـاً عدسة المنظار ترتجف من دونك أرتجف لم أُبصـر قامـة ضوء لم تكن الوردة قامة الورد سرها مأخوذ بعطرها. أبنية

خارج أبنية تفكر غرف مهجورة تميل إلى جوفي أبنية، كمـا حياتي في الأزل. من خرم إبرة أبصـرهم يمضـون فـوق أعضائي بأصابعهم القاتمة يخلعون أصـابع النـور رأيـتهم يمضون خارج الأبنية من خرم إبرة ألمس شبية الظل بغرفه المأهولة. بالغابة والوردة التي بلا ورد رأيتها تذبل. حينمـا ينز الماء، بوجهي المتعرق بصـورهم والخـوف السـاكن بملمحي لا شيء سوى أنـك تـأتين خـارج الحلـم مـرة لأعود بحفنة غيوم، تلك الغيوم سيرتي، وهذه التـي أتحـدث إليها زجاج تكسر. لم تكن لتمشي على رأس مديـة بعـدما وقعت في سبات مضى، ما رماني الأفق من شذرته الضئيلة جست بوريد يدل إلى جهة القلب جنّت الورود، وتفحمت في الشريان الأبهر الوردة، لم تلمس الوردة جسدها مأخوذة بورد آفل في حين أن قلبها لم يقرأ الذي تضرع والنسيان أيقظه بلا فوضى أفهمها الذين ارتموا بأيامي كما الفتى الذي غاب فجأة والأم كما العرافة تداري بنيها وحده الذي يبسل كي أغـادر فتى يسكنني لأكثر من مليون مرة ثمة مكان يسـتوطن فيـه نعشي أجثو كـبلاد أحملهـا إلـي والـنعش يـذيب البـرد الذي يوشوش بمفاصلي وحده يبحث عن جهة كي يصلي لـم

أعش إلا كدمية مأخوذاً كوهم ملفق إلى وردة أشـذبها فـي كهوفي وما جئتِ كمن تلمس غيمه من ورق غير تائب الذي لم يصل الوردة رأيته يذبل بينما أميـر، لا إمـارة لأميـرة لسنينتجف بين أصابعه الأميرة تبحث عن كنوزها وجسـدها مسنود على جدار قاتم كما لو أنها بعد أعوام مضت لم يكـن جسدها كي أنام وبقوة أسنده روحي علـى مقـبض بخـوفي أسنده، وهي تجيء منذ زمن كي أغادر ثقب الباب جسـدها ينام على جدار يسكن في البعيد لم أسأل الباب أغاظني شكله شكل طريق يقود قبل أن يتجه وهذه التي أتحدث إليها زجاج تكسر.

سان فالنتاين ما هكذا تَغُشّنا يا رجل علـى شـرفك أدخن السيجار، سأدخن السيجار إذاً، كي أبلغك بأنني لسـت من تسره فكرة انتظار يومك، يوم يقاسمني فيه مواء القطط، ولست من تشيط نفسه بعشيقات أفلسن وهن مغرمات خـارج العفة، وهن يلمسن نومك يا جدهن الأفل. لنقل ليومك العشقي هذا تباً، وللظنون والأناشيد التي لا تكف بحديثها عن طلـوع الفجر وعن العشق الذي دعوت إليه وضـاق بنـا. فلـك أن تبتهج حين نوبخك على فعلة تميت الـنفس وتتلـف الوقـت

والأعياد المتبرجة، ولنا أن نُبصر محياك ومريـديك، بينمـا تجوب في الشانزليزيه لتخطب بالجموع من أبراجك الوثنية، داعياً إلى طقوس شيدتها بحرارة دمك المسفوح على مائـدة معشرك الكنسي ويبصق عليك قساوسة خذلتهم بفعلتك. أتذكر ماجنات مررن قبل أعوام في كوابيسي وأوقظ جان بوديـار كي يتلو عليك وصاياه العشرة في الاغراء، وأتلو عليك بدلاً منه، كي لا تلهينا يا رجل، كي لا تغرينا وتغشـنا برهبتـك وأنت المبصر في الخيانة، صاحب أسرار وغرابة تبحث عن ضحاياك وأنت كناية عن جبان تستحوذك فكرة الموت عشقاً وتميت العالم بنزعتك العشقية في اليوم الذي منذ أزل. ههنـا أرسم بقعة على مقاس هيكلي، ثم أبصق على اثنين وثلاثـين عاماً مرت بجسدي كي تكف عن خذلاني في مطلع كل عام، تخذلني حتى بلوغي الرابعة والستين. يـا كهـل الأكاذيـب والأوثان، ما هكذا يا رجل ؟ تتلصص على نسـوة يفكـرن بتوحدي الأعمى. لا بأس على أية حال، علي أن أبارك إناثاً أخريات، كمثلك اليوم ذاك في الريف الفرنسي قبل أعـوام، أجوب الهياكل المرسومة والمعابد والكهنة المزيفين كمثلـك أقف على جنبات الطرق بينما أُبصرك تهرول خلـف الـبط

الموزع قرب البيوت.. ثم أهرول على مسافة تحاذيـك كـي أخذاك حين أوزع الورود والعناقات السـحرية ولهاثـاً مـا عهدته في عيدك المنهزم، لهاثاً كاملاً للعشاق أيهـا الكهـل، ليس على شاكلة عمرك الصدئ المتروك على وجل ووقـار محبيك ولمضارب اللهو والتعبد البـاذخ ثـم تلهـو بنفسـي الخربة، بغبار لحيتك الكثة تلهو، فلست الذي أنظر إليـك إلا كتعب محموم يجعلني كي أدخن، ملء العين أدخن، وتـدخن كما أفعل أيها الكهل، بريبة أقل وافتتـان منهـزم، وتُغـرم بدعوتي كعيني حين شحت، من رمق أنثاي الضئيلة، ثم تطفو كما حياتي في البهاء المـر، وتشـلحني نظرتـك والغيـرة المعهودة بوقار أخاّذ وأغرم بما سـلبتني إيـاه مـن توحـد وبصيرة للرجاء، ثم أترك جسدي يتذكر خلوته قُبيل عيـدك الباذخ كي لا يبارح مطرحه بينما أدخن السيجار، كي أفهـم مزاجك المتصابي كنارك المطفأة، أدخن بشهوة وبعري كـي لا أحتفل بعيدك أي ها القس الذبيح، أكلتني الفكرة يا رجـل، وذبحني طعم الذي يضمر في روحي ولا يهدأ، سأدخن بعـد أن حشوت السيجار من هذا الذي يجعل الرأس بليداً، ثم أشعر بسلطانٍ يجلس في مخيلتي، أدخن كـي لا يبـارح سـلطاني

مطرحه وأبارح إلى أمكنة تفسد النوم وتحفل بالظنون. هذي ذئاب المدينة تحرك أفئدة تبلّدت ، فيا ذئـب تغويـه الفكـرة والتعبد، أكلتنا الثعالب يا ذئب، أحري أن نوقظ العشاق بعيداً عن لهوهم ؟ وأفهم بعد مليوني مرة بأن عيدك بلا طعـم يـا رجل، إلا أنه يغوي النسوة المتصـابيات، يغـوي الصـبية والمتصابين، يغويني أحياناً حين لا أدخن السـيجار، حـين أبحث عن سلطانٍ أجلسه في مخيلتي. فلسـت مـن تغويـه فكرتك، لأنني في كل لحظة أعشق أنثاي، بوسعي أن ألـوذ بعناق شهي لأعوام أُخر، فلك عيدك أيها الآفل، ولنـا تعـب يواريك وخصال لا يفهمها بني تربك، وهم مضـلّو سـواي، فمنهم من ذهب إلى خلوتك، ومنهم من تنوء نفسه في التراب وأحتفي بكمشة نجوم، وبقطعة شمس ترتجف. ضـاقت بـك يون القطط فأعلنت نكاحها المحموم في عيدك أيهـا الناسـك لأبيض. ما دهاك يا ذئب، فطنتك الضليلة هكـذا وقساوسـة متهم جل سعادتهم بينما تبايع معشرك الكنسي وتموء بدلاً من عبد خيبك وتحزن على قطط المدن الذبيحة، وها أنذا أمسـك لسكين كي أذبح طيفك.

إنما الشعر المؤنث و إنني المرأة / الرجل، الشـعر لمؤنث، إنني على خصام مع الوقت غالباً، وأحياناً... أرجئ المعنى وأعطّل ذاكرتي. معذرة إذاً، من الرمز حين يفضـح الشعر، بينما يخبئ ذكورته في جفاف القلب بعد أن قرأ دقائق النعي لتوه جف، بينما قلبي، وغالباً ما أكذبه في حين غفلـة ينصت، وغالباً ما أخاصمه، حين يبصر بالشـعر المؤنـث، ينصت إلى سيرة النفي من خلف ليل مضى، خلف عبوة ليل فاتني، بينما قلبي لتوه يخفق. إنما الشعر المؤنـث، أَسـكته الشعر المؤنث. معذرة قلت من المـرأة / الرجـل، وحـدها ستقرأ الرجل المؤنث هي ذلك [الرجل هو] تلـك [المـرأة وُأبصر، سرائر الشعر، واستحالته أمام شعور الجسد ضلالة خوف مؤنث، خوفاً ينسكب على ذات الشكل يفسـر كـوائن النص ويعري أصله. جسد ضـئيل، أيـة غوايـة تعصـف بالرجل/ المرأة باهرة اللون، وخفوت الصوت أيضاً، الرجل خفوت يصدر من سماعة ملوثة بالنعاس ثمة من يخلـد إلـى النوم هنا]

[الشكل يجالسنا، ومعه الأمكنة سرها الكامن بالجسد هو ذاته] هي تغمض عين الساحر ثم ترمي شعوراً متـأخراً

لاكته أبواق، دعكته خيوط الغسق، وكتف ليل أحدب] هـو [أعني غواية وسحرها،] هي [غواية تسهو، وما مـن شـكل ينوجد وما كانت إلا أن تتبخر. من يقضم جسد الساحر، هذا السحر في خلوة وفتور عطشٍ. على مرأى عين الله، حـين تغمزني كبرق خاطف. لا معنى يسوق الليـل إلـى خـارج الغرفة. بينما أجلس تحيطني الحوائط، قرب هاوية انتظار من لا يعود، ثم يصمت. كانت المرأة تلبس نباهة الرجل] التي [تعانق غرفتي،] الذي [يعانق غرفة تفصـلني عـن مكـان وسره الآخر بي]. غرفة توازي سقف سماء، علـى سـوية وطول المرأة باهرة اللون تجهز على الساحر، حين تلمـس عين الساحر، حين ينام واللغة تعطل جسده. لا معنى يـوقظ فتور الأمكنة هنا] [خلوة من تقعدني أمـام شـعور أزلـي متآكل، كأن وقعت من شدة بياض، من شدة نـومي الكثيـر على صمتي أقل من حذري وشدة ما يتملكني من خدر يحدثه سهوي. وأحياناً، إن تراءى لي، بأننـا حفنـة منـافٍ، إننـا والخوف متضـامنين وإلا مـا سـر أن نكتـب وهـاجس الخوف يسكننا. مرة كتبت دون دراية فوقعت من شذرة جرح قصي، بعدما النهاية أهدتني سرها، سارت بي حروف تقـود

إلى مقصلة، بينما الصمت، وثمة لغة حلم أدركني، وأبصرت ملياً عن حلمي ذاك الذي هوى. وحده كان مستهدفاً بجسـده الناحل، ونومه القليل. حينما يتبدى إلينا النزوع ذاته، بينمـا الأمكنة تزدهر بالخوف، ما كان الندم يسكننا. ولأن الخـوف علي يبدأ مني، النار تشعل روحي، ولأن النار انطفأت، مـا كان البياض يتركني. تعصف بك ريح وأنت مجرد مزحـة، بينك وبين الذين دخلوا الوهم ظناً به قصور الممالك في حين حروف ورمادها لنا. وأخمن ملياً. إن تجد الكتابة وجهاً آخر للألم، في النهار يمحوها، بذات الغمرة الخوف / الألم، ونحن في مقبل الأيام أزلٌ آخر، ألأنه / نوجد أم أن الفشل عصـي خارج المعنى. وألهو بمن يؤمن بالهزيمة. لكن الكتابة تمحو ليلك، وأنت في ضريح أمكنة كأن تقول هيبتها في حال أُخر من ندم. كيف أن نرى إليها والندم صواب مـا بعـد خيبـة كبرى. إذن خوفي على ندمي ألا يستدركني، والندم صـواب آخر، وما كان الفشل إلا يقظة ومنبهـة حيـث لا نهايـات نصلها. قلت الندم وما وقعت به مرة. فهذه سـم اء تـوازي غرفة تحاذي امرأة، سماعة ملوثة في ليل يودع أثـره، مـا وقعت بالندم مرة، وجدتني أعزل آخذ مكانـاً قصـياً شـرق

مدينة. وقعت من شذرة جرحها، وما كانت حروفـي غيـر جربة، لست من وضع مرمر كلام آخر في وقت يودع رهانه على تجارب شعراء، كل ما يصلهم بالكتابة بعض مقابسـات من ملاحم، وكتب مقدسة جدهم شعراء دون سبب واة كـانوا مضوا إلى ناحية أدعياء في زمن ليس ببعيد، نجـدهم علـى اكلة ثوار، بصور وربطات عنق، يوزعون إعلانات مـوت، انشيتات صحف، فتاوى يقدمونها على مذبح القصيدة. تبينهم، ورهم براقة كأي سادة لمجتمع يحتاج أن يكـون خـارج أي عنى. خوف حار عن تراب ثقيل وجسد ينوء ماذا لو أنني لم أحسب بأنه أقعدني. سيكون عليه أن يسير بخطوي، أخمن ما أخطأه. ألمح ضآلة حجمه في وقت أرهنه لأكـون غافيـاً ، وغافياً أحط بنفسي على إثم يحدسه، إذ لـم يكـن المعنـي جسدي، جسدي الضارب كغمامة، وشغف يهده أتوارى عنه، كي أتلمسه من سماء تدمع ، وأدمع من ناره الصافية، من نار صافية أدمع. لمرة، حين ألوذ بفرح ضئيل، سيفكر جسدي أن يتعب قلبه يغادر من رمشة عيني، يمشي تاركاً نفسي، ينوء عن قلبي قبل أن أرتمي من جثته، وأحسب لمرات أُخر أنني وهو على خصام منذ أزل. أفكر به ملياً، أقعدني، بخوف حار

أفكر، أفتتن به، أو أنني للتو أحدس زواله، إذ لم يكن يعنيني منه، سوى أن يتذكرني بنحافته المعهودة، وقلبه الخفوت، كما ناره الصافية أدمع من جسدي. بخوف الذي أقعدني ونمـت عه لأعوام، كي أفتتن به بعد زوال، كما أنني أحاول تبيانـه، صيره بعد مليوني مرة، أخرج عليه بشغف ألـيم، وجسـدي حوطه غمامة كلما أفتكره. لا شيء هام على ما أبدو عليـه، لكنه جسدي، في مصح آمن ينام، بينما أجثـو إزاء تكوينـه، أجثو بعد أن كان عصياً آسراً. فيا... جسـدي، نحـن إلـى خلوتك، نميل إليك و إن كنت عاكفاً عنا، لست معـي و أنـا أجهد كي نعاود ترميمك، فكن مطواعاً بعد أن تشرب من ماء المصل هذا، وتُحقن بقليل من إبر الحياة ستكون خلداً أقله مع نفسك، باذخاً، أنيساً. أعرفك، فلي أن أسال عن توبة في زمن كسير، عكفت عن زمن خاسر، زمنك على غير فتنـة، مـن عشق يواسيك، نواسيك من ثقوب النوم، يواسيك عشقي بعـد نوم أخير، أواسيك فلن أكون إلا معك أيهـا الـ ـ جسـدي. وجسدي... لا تربطني به قرا بة، أو حكاية حتى، لم يكن منذ زمن معي، جسدي على ما أبدو عليه ينأى عن نفسي و لـم تكن له سوى رغبة منها لما بدأ يجـف فـي كتلـة سـاعية

لتنظيمه. أحدجها، كتومة، منطوية، بعدما قيل عنها : تمثـل الإغواء الأول لبدء الكون، لا الكون بدأ ولا جسـدي افتنـى مؤوتاً يتكون إذ لم يكن سواه جسدي. يحتوي على كتلة تنـام في جهة الشمال، أياً كان هذا الشمال، في الصـدر المـؤوت حتماً. كتلة رحيمة لا تهنأ إلا أن تسير دماء الإنس، مع أنهـا تميتني، إذ لم أمت بينما أحط بيدي عليها حين يخالجه شعور باطن لأحدسه من جنوب القلب، والعالم، من ثقـوب النـوم والوقت العليل كقلب جسدي المؤوت أبداً. قيـل: عـن هـذا القلب، ولم أقرأ سوى ما يحدسه بعد أن مررت عبر شـغافه قبل ساعات من رجمي في هذا المدفن الحجـري، قبـل أن توضع الأزهار حتماً. منذ قرون، حينمـا كانـت الأبـواب موصدةً على أقل من رجفة القلب، كما أن الأبواب موصدةُ، سيكون من شأنها أن تجهز الإغلاق علي التراب ثقيل وأنـا بالكاد أتنفس، يقاسمني في مقبرة مجاورة داخل هـذا البنـاء الواهن بعض شجون و أكسرة فحيح الموتى. منذ أعوام قلت كلام كهذا، أكرره، وما أدركت فعلتي لكن، مـا أدركـه أن جميع الأبواب موصدةٌ، والليلة هذه أليمة بينما أكون صـحبة الله أنيساً له دون أن أدري، المصلوب لتـوه يحـاول خلـع

الأبواب ينزع إلى تفكيك نفسه، بلا ضجيج أو حتى ساعة منبه، أو خوف يذكره بصحب رحلوا، أو أنه راحل عنهم. الباب مغلق، أوصدته راهبة صغيرة أم إن الوقت يمضي، هكذا دون اكتراث يمضي؟! مضى زمن، و أنا جثة هامدة تحاول إزاحة تراب ثقيل، كعادتي خارج الوقت، أمام باب بني قاتم، أشرد ملياً لكن ثمة ما يتوجب علي. وبقسوة أكذبه، الباب الذي لا ينفتح بمنامي، الرغاب مطفأة، قرب باب أوصدته رياح الجنون. أيا كان هذا الباب، قبل أن أسد على راحتيه قُبلة، تأخذها أصغر راهبة، لكن شفتاي منسيتان على أنف منظار أعمى، ولهذا المنظار أن يحفظ شكل الراهبة ونظرتها القاتلة، من حب رحيم تقتل. رأيت إذ ما رأيت الأبنية، تحوط بملمحي القابل إلى زوال، بينما أمعن بما يكفي رغابي، ما لمحت زرقة عين وخصلة ترتجف، رأيت صورتي، و صوتي الذي يحترق، وحدي أميل عن شفتيها قبل أن يتوارى جسدي. ثمة ما يمكنني أن أخمنه، ما لم أميز الشكل بعد، إذ لا ضوء سوى براقة عيون عفاريت وذئاب تجعلني دون أن أميز حتى لون جسدي الذي ينام بعيد خطوة. هزني هذا الليل الهامد، خارج نفسي أم أن النفس تخرج

عني، فعدت. لم أعد إلا لأمشي بلا جسد أمشـي، لسـت إلا ونفسي المتبقية عبر ممر طويل يؤدي إلى عمري القصـير بروح خائفة وليل هزني، بلا جسد يهذي هذا الليل، سـواي عن تلك الروح ونفس تستقر جنوب القلب والعالم، حين أدنو عبرها، بما يؤنسني، بينما يفكر هذا الخلوق، لكن لهذا القلب بعض أخطاء ، أن يجعلني أسارر إمرأة ويدفعني إليهـا دون أن ينتبه، كان حرياً به أن يكون أقل وطأة، حين خدش امرأة لم تقبلني. نويت إذ ما نويت أن أميل أكثر من لهوي الـذي يفضي إلى شفاه،لعوبة تلك الشفاه، وشفتاي قطعة قرميد، مـا نويت أن أميل أكثر إلى لهوي. بعد موت مديد، قبـل قليـل أمسح وجهي من فيض يجف أمام هذا العالم السـعيد، عـالم مصنوع من عشق و تعب وموت جليل. كما لو أنني حيـاة سواي، صحبة الذين يسكنون حروفي، اكتب عـنهم وأنسـى نفسي كائناً لم يكتمل، كائناً أو هكذا يبـدو الشـكل الأليـف لنفسي، حين تلمس طيش مغامرة، ثم أهوي بروح ثملة، ثملة روحي، تضيق والمرأة بمنامي تخمن. كم كان قلبي شـاكاً وكاذباً، إبن كلب لطيف، ملحاحاً صموتاً، جباناً لا يفهم الأنثى التي تريده بالشكل الأول لبدء التكوين، بدء الخلق و العالمين

عالم استحضره وسط ظلام رهيب. الليلة إذاً... أمام البـاب البني القاتم، أقف أمامه كامـل الحـذر عينـاي زائغتـان، جالستان أمام مصعد معطل، انتظر ولم تخرج منـه أنثـاي القمرية. أهيئ نفسي كي لا أكون منهداً بعد ألفي عام، لكـن الباب، هذا الباب موصداً حتى بمنامي. خذلني شكله، كعادته يخذلني، الذي تنام خلفه امرأة وله أن يخذلني، حفظت شـكله بمنأى عن رجفة الإغواء الأول، الذي ينـام بـالقرب منـه جسدي، أنعته كأي متقاعس، هذا الـ ـ جسـدي إذ لا يهنـأ بنومه، سوى انه بالقرب مني ينتظر حفيف ظـلال وعشـقاً يواسيه عشقي، لذيذ كان مذاقه، أم أنني إزاء طيف أخمنه قبل أن أختنق، بعد قليل قد لا أخاص إلى أي شيء لا يشـبه أي شيء حتى. قد لا أنام قليلاً وأنهض كي أكمل هذا النص الذي يحييني، قد أنام، كي استمر بكتابة رسائلي إلى نفسي. إلـى النفس الكتب، حين تغادرني توأم هذه النفس سأكون في منزل مجاور، في بناء صموت كوجهي، كوجوه تقرأ نومـاً كئيبـاً يتقطر من ملحمي. قيل عن بعض وجـوه شـبيهة: رهبـان دمعوا على نهاية من أول الكون، بعد أن قيـل عـن بشـر: يفكرون بمنأى عن رجفة قلوبهم لا بأس أن تحيلنا غبطـتهم

لى آلات تحركها رؤوس تنتعلها الأحذية " كي لا أبتعد عن نفسي سأميل عن بعض طبائعها. أميل إلى قلبي، أصغي إلى نبضاته، بينما يدير بعض إرهاصات ثمل من عشق مـ ؤوت، أحترمه على أية حال، اكثر مما اكنه لجسدي بعد موت مديد، كما ملايين قلة من البشر إلى زوال، سأكف عن التفكيـ ر، إذ ما معنى أن يذهب العالم خارج أجسادهم، أتأخر عن مشـ هد كاذب يدنس القلب و عفة طهارته. إزاء السـ اعة الحجريـ ة لمتوقفة على حائط غرفة، وصورهم، صور الذين غـ ادرتهم بلا ذاكرة، أتذكرهم، بينما أجف بانتظام هانئ، كما لو أننـ ي أمسك جمرة المستحيل. لم تكن إلا لتجيء، كزهرة تجـ يء، موضوعة على أقل من حفنة ريش طائر أنثاي على ما تبدو عليه إزاء جسدي تجيء، إذ لم تكن إلا لتوضع وردتها علـ ى جثتي، لكن من سيخرج بي بعيداً ليدفنني في بـ لاد الـ دفء وصحاري الجنون. سواكم... كما أروقة ساسة وأدعياء بلاد يدفنون فيها ملائكة دونما أي سبب فاجر.

علي إذاً: أن أحاول أول البيـ اض، ألمـ س حفيفـ ه، سواها التي تحدثني الليلة، رحمة بمن يمـ وت مـ ن عطرهـ ا القليل، كرجفة ملاك مقبل إلى زوال أم أنني أذوب من رجفة

لا تهنأ بي من خوف آسر ونوم يشبهني ولا يشـبه الخلـود.
منذ قرون واهية، قبل أعوام، بعد قليل، سيكون فراشي دافئا
وجسدي يغمره ثلج باهر، جسدي الذي ينوء برغاب مطفـأة،
كما هذا العالم الليلة، أتشبه بمن صاب منذ زمن أخير، بعـد
نوم قليل أخاطبه و إذ لم يكن جسدي المائل عن فراش حـال
دون أن يؤاخيه جسدي. الضارب كغمامة نوم كئيب، أتحسس
برودته، كما لو أنه قطع ثلج من نار جحيم باردٍ أميـل إلـى
ناره الصافية، بينما أنثاي للتو تفتح باب قبري.

أول النفق المزدحم من عيادة في آخر الحي الأثنـي
في وصف ما: الطريق المؤدي من مار تقـلا ، إلـى جهـة
اليمين وأنت تحاذي الفرمشية، قبالة الإنجيليين وكنيستهم ، ما
أن تدخل المنعطف الذي يخرج إليه عمال الحياكـة تلحـظ
بعض صيارفة يتهافتون إلى جانب هنود وأحباش وسوريين،
يوازي هذا المشهد حركة عجولة يحـدثها منـدوبون عـن
شركات يعرضون بضائع جاؤوا بها من تـايوان ثـم تـرى
ملائكة صغاراً على ظهورهم حقائب ينتظرون حافلات تقلهم
إلى مدارس وإذا بهم يحطون في الجحيم. وأنت قبالة الحـي
المحاذي للفنار، قبالة معرض يتصدر، سيارات تأخـذ مـن

شكلها جزءاً من حياة الأبنية والقاطنين معاً. فـ.. الطريـق المؤدي إليها وأنت قادم من الدورة حتمـاً يصـلك الطريـق ببعض الذاهبين إلى جونيه، وهكذا يبدأ نهارك تخرج من ذات المنعطف، يتقدمك كلب بقوام كبير، لسانه متهدل، كما لو أنه يبحث عن قوت عائلة أو أنه يحرس ماشية تنحدر من حـي يقطنه الكلدان.

مزار مارالياس: كما لو أنك عامل في منجم تترقـب أباطرة تجار ما بعد الحرب، وحيثما تكون في منزل بغـرف مهملة وصالة كبيرة لم يزرها إلا بعض من صـحب وأهـل جاؤوا من الشمال. يحدث وأنت تلحظ من الأعلى قبالة شركة تضخ الكهرباء فوق مؤسسة صيرفة، على أطرافك منجمون وبعض عيادات ليلية أو مستوصفات تحمل أسماء قساوسة - مارجرجس... مار شربل... مار امطانيوس وثمـة منـزل أسفل البناء للأب شهاب. تطل من التراس، لم يبصرك مزار مار الياس، إلا أنهم يمرون من قربه مشاة يرسمون الصليب، يعبرون المزار الصغير، في الأسفل تماماً يقطن مزار مـار الياس. ماريانا يونان: تبعث كلاماً عبر مراهقة تدعى ماريانا يونان، ليأتيك خبرها كأي مصير لم تعهده لطفلة، هـي الآن

في سبات طويل تحتضن الأبدية، لم يذهب الكلام الذي بعثته في منشور اعتذار لأنثاك، ذهب المنشور صـحبة ماريانـا ليعود على ملصق عائلة في الحي الآشوري ذاك. كما لو أنك أمي، لست على دراية بأمور العالم، يغادرون فور أن تصفع ظلالهم بكلام قليل، أو لمسة تهز الوقت والسـبات الأخيـر. مستعمرات النفس: تسأل حارس المقبرة، عن اليهودي الـذي أعلن إسلامه وبعدها أصبح مسيحياً ينَظّر أفكاراً تخص شهود يهوه، ثم يسألك عن بلاغة الكلام الذي قولته للفتى أورهـان، إن ذهب في الهباء أم أنه وصل كشبح يحوم بـالقرب مـن أنثاك، بالقرب من دير الصـليب. مـا غرمـت بـأنثى إلا والأرض تتحرك تحت قدميها، كوثن عبادة تتحـرك الأرض تحت قدمي روزيتا، وروزيتا لم تقرأ الكلام الذي وصلها إلا كي تقبض على حفنة نجوم مطفأة، شكلها الضـارب كمـأتم مبكر، شكلك حين تهفو خلفها، أو ترمقها من الأعلى، تمـر أمام مزار يحاذي ملمحك، تمعن بدقة كطيف مـوزع علـى شكل صليب، ثم تمرر يديك على شمال الجسد، وتفتكر بمـا حسبته، كما لو أنك لم تمس غفلة حين رمقت الذي لـم يعـد يشبهه سوى ليل طويل.

هي النفس مستعمرة إذ لا يفهم هسيسها سوى الـذي يعيش خرابها، ثم أن النجوم نائمة في دير بعيد ألأنك خـارج الأستانة أم أن زوالك في مدينة أخرى. لم يعد للجفاف سوى أن يطاله، وللماء أن ينكسر، تخرج مدينته إلى العراء وله أن يحدو بمزاج أقل. غير أنه لم يعش سوى كهولة، إذ لم يبارح الثلاثين قبل أعوام الزوال. هوذا يشبه شكل الفرح لكنه كأي قتيل، تميل الفصول عنه فينكسر في العي اء، وتغيب الـنفس عنه، وتموت اللغة والوعي تشظى. عليه أن يسر عن عشقه القليل، لذة البصر في عالم متخيل وثمة من أودى به للعـيش في المصح ذاك، بعدما الكتابة تشق طريق التهكلة. أنيق كان ملمح القبر والحجر الشفيف، قيل بـأن معشـوقته انتحـرت وأشاروا إلى قبرها، شكل القبر رهيف، وضعت عليه بعض زهور صفراء، كُتب على حجر متآكـل الأطـراف تـاريخ مدينته التي خرجت إلى العشق والشـقاء. ههنـا الوصـمة الغامضة، كما حياة أنثاه الضاربة فداحة عالم غير مسـكون. ألهذا نجد البري [الطريدة] فوضى ملكية في دير بعيد؟ هي ذي مدينتي حياة رجل يؤمن بأن أنثاه لم تبارحه تطرق بـاب بيته عندما تنام النجوم ثم تتوارى في ضباب كثيـف حيثمـا

الأعراف مهتكة. مهد ضئيل لـ "مانوليا": من التعب العالي، على ذروة من عيادة في آخر الحـي الأثنـي، أول النفـق المزدحم، في بناء متهالك، أدنو من جنبات الحائط المكـوم، أدنو من شتات النوم وعلب الأدوية الموزعة قـرب وسـادة مملوءة بالوحوش الآدمية. أسند النفق قبل أن أشرب من هذا الذي يشعل رأسي فأغلي روحي الميتة، ثم آخذ رشفة تحيلني إلى فناء. لم يعد الماء مبتهجاً، القهوة بدلاً عن ذاكـرة تحـد جسدي، ضئيل ملمحه... جسدي الذي لم أعد أميـزه، قربـه الأم التي أودعت مانوليا وأهدتها الغياب. للأم عينان ذاهبتان في وتد من نار، عن وتد وقعها المأخوذ غفلة عن جسـدي، هي ذي الأخرى تستمني بما يحيط من بقايا الفاكهة، أكلتنـا الفاكهة وسقطنا دون دراية في هامش الإصغاء. على وقـع من حسد هامش آخر للفوضى القليلـة، علـى نـوم وعفـة الكوابيس في نهار لم يكتمل. ليست كأي أم، ملقاة من سـور قديم على ذات الحجر الشفيف، برية بيضاء تقطـف النجـوم والوقت والأخطاء الملكية هذي مدينتي، ثـم عيناهـا مهـد ضئيل، مهد لمانوليا وآخر لهامش لا يشبهنا.

برونزاج شعري لم يكتب في مرسين... يحدث فـي الروشة الاسباني، الفرنساوي المنشأ، العربي "اللغـة" وحـده حذّرني مما ستؤول إليه حالتي، ثم الإنكليز الذين ضاقوا بـي وبأعصابي الميتة، ومن قبلهم الذين صاغوا فلسفة اليونـان. ومن قبلهم الذين حرموني حقوق المواطنة في الجمهوريـات المتوالية. ثم أنني هادىء أتفحص الغليون بعدما حشوته بهذا الذي يجعلك بليداً تستحوذ أفكاراً وقوانين باذخـة. الشـاعر المندلق على كيفه، الفلاح المتمدن الذي يتصدر مكتبـاً فـي صحيفة، صاحب عين ضلي لة ومكائد تكفي لأمته العربيـة الواحدة، لاسيما أن صحيفته تكافح من أجل التشهير بالمخلّين وتصويب القوانين. يحكى في آخر تصويب لها أنها كفّت عن شتائمها لرئيس حكومة سابق، وصار في لمحة بصر داعيـة للتغيير وكأن شيئاً لم يحدث. لم نقل أنه متشاعر لكنه تـدرج من مذيع إلى معد افتتاحيـات للمجـلات الهابطـة، يبـرمج علاقاته النسوية بحفلات الكوكتيل وعلى كيفه يفبرك مقالات بأسمائهن. يخيل للقارىء انه يتصـدر صـحيفة مختصـة " بالنسوان " لكنها ذات هموم " قومجية ". حكى لـي صـديق أعرفه، وعلى ذمة حبيبته، انها ذهبت إليه من أجـل نشـر

مقالات أدبية وإذا به يحاول اصطيادها. فمرة يعدها بوظيفة، ومرة يكلّفها بمقالات عن كتب الأصدقاء، وثالثة يطلب إليهـا أن تذهب معه إلى منتجع في جبيل. ومرة تجده عاريـاً فـي المكتب. هوذا شاعرنا لا يفصل بين كومة شعير أو نصوص أو أشعار. أغاظني، معه أنه لا يفكر، بل أنـه لا يبصـر إلا بعين واحدة. يعد ملفاً عن الأصولية لتتحول مهاترات الكتبـة شيئاً من الميزوجانية، الحبلى بالشـهوات وفنـون الفلاحـة البيروقراطية، فلا بأس أن "يتحول" مكتبه علـى مـرأى الله والثورة المنطفئة والأدمغة التي تفوح منها رائحـة الشـبق. هاأنذا أجلس على نفس الصخرة التي هوى منها جسد رالـف رزق الله، وللأسباب نفسها أبصـق علـى رجـل أنتجتـه واحتضنته بعض الحثالات. لم أنظر إلى الأعلى، لكن يخيـل إلي هيئة مليشيوي يصوب مدفعه إلى غيمة، ثم يهـبط مـن فوهة منظار لا يبصر سوى الدولة. اليوم زارنـي مبـرمج الساتلايت، اختلفت معه لأنه أفسد على الجماهير التمتع بأفلام البورنو. بل لأنه خاف صبية جاؤوا من الفنار. بعدها بقليـل رحت أتسلى بمفهوم " الدولـة " فاكتشـفت أن الحكومـات العربية لم تكن قائمة إلا على أفعال تذبح الأخلاق والقـوانين

الفتية. هذا يعني أن مناماتي عن " الثورة المتجددة " لم تكـن سوى كومة محبة لأشياء تمتع النظر، تمامـاً كمـا تتمتـع الجماهير بالأفلام " المصروعة ". حقاً أحب الدولـة، لكنهـا تترصد عاداتي السرية. تخرب ذائقتـي ومزاجـي وتشـوه مناماتي الملكية. كل ذلك يحدث في بيتي - بيتي الذي يحاذي شركة الكهرباء، هذا يعني سأشعل الشموع بانتظام. بيد أنـه في الأسفل مزار صغير يدعى مار الياس، وفي مدخل البناء منزل للأب شهاب. أيضاً يجلس إلى طاولتي أربعة شياطين؟ الفرنساوي الذي قالها ومشى، لم استمع إلى حديثـه كـاملاً. كنت مصاباً بالطرش بعدما شربت وصـفتين مـن حبـوب الأعصاب. وحده طبيب الأعصاب يحتاج إلى عناية. حينهـا أبصرني حفيدي الذي قولته (أورهان). راح يتمنطق بلغـة برية يتداولها الأهل في الآستانة. مات غماً، هذا الذي يصهل في جوفي. حفيدي الذي أقوله بدلاً مني، أتعبني حين قـدمنا من البوسفور وبلاد الأناضول. صديقي عالم النفس، طبيـب الأعصاب الذي مات غماً، والمشرفة على علاجي، المكـان الذي أتمنطق منه، وجسدي الذي ينـوء بانتظـام. إذاً، مـن سيعدل مزاجي سوى هذه البرتغالية تتقطر شبقاً من العيـار

الثقيل؟ لكن، خاب ظنها حين لمستني وأنا أستحم في الميـاه الكبريتية. حين نويت ولم يتحرك شيئي إلا بعد أربعين يوماً. بعدما غادرت المصح وأصبحت مرسين شيئاً مـن الـذكرى السوداء.

كتبت هذه النصوص بين استنبول ودمشق وبيروت، بدءاً من العام ١٩٩٩ لغاية ٢٠٠٠ نصوص الأستانة

للكاتب أعمال منشورة منها غنائيـة المـوتى فـوق هامش الممالك:عام ٩٩٣ وخدر السهور: عام ١٩٩٦ والحفيد السري " أورهان أوزباي ": عام ١٩٩٩ وزهور النار/ مـن الالف الثاني في الكومنولث تحديداً:عام وأتشكل / آخر الحي الاثني أول النفق المزدحم:عام ٢٠٠٢ كما ترجمت نصوصه الى الفرنسية.

ـ أما في الجانب الثقافي: أصدر في العـام ٢٠٠٣ مجلدا تضمن على إرهاصات في الأدب والفكـر والسياسـة تحت عنوان (جدل الآن – إلى الألفية الثالثة فـي الانتقـاد الفكري والسياسي وعن قضايا الديمقراطية والقمع والاستلاب وعلاقة المثقف بالسلطة)